تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات

بين إكراهات الواقع والتطلّع نحو التغيير

ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي حول:

"الاتجاهات العالمية المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية"

المنظّم من طرف مؤسسة منارات الفكر الدولية، بالشراكة مع كلية الدراسات الإسلامية، نوفي بازار، صربيا، وجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، اليمن.

المنعقد يومي:

06 و 07 نوفمبر 2019م

في إزمير/تركيا

إعداد :

د/سعيدة بوفاغس best96762@gmail.com

أستاذ محاضر "قسم أ" ــ كلية الشريعة والاقتصاد ــ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة/الجزائرــ

هاتف: 00213773289343

و

أ.د محمد أوسكورت mohammedousk@gmail.com

أستاذ التعليم العالي/كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعـــة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميـــة/قسنطيـــنـــة/الجزائرــ

هاتف: 00213661107680

الملخص:

يشهد واقع تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات جموداً في المناهج، ونقصاً في جودة تدريس هاته العلوم التي تُعتبر مُرْشِدَ الدُّعَاةِ في تحمّل مسؤوليةِ الدعوةِ إلى الإسلام.

وإذا كان واضحاً في الأذهان بأن العلوم الإسلامية تختلف عن بقية العلوم في المواضيع والمصادر، وأنّ أساليب تدريسها لا تتطابق تماماً مع أساليب تدريس غيرها من العلوم، فإن عمليةَ تحقيق مخرجاتها على أرض الواقع تصبح محفوفةً ببعض المحاذير التي ينبغي التنبيه عليها ضِمْنَ مجموعة من التساؤلات التي ترصدها هاته الدراسة، في محاولة منهجية تسلّط الضوء على الخلل، ومقاربة فكرية تضع الحلول، كي يتمكن المُدَرِّسُ للعلوم الإسلامية من التوفيق بين خصوصية هذه العملية التربوية، وبين تكوين الطالب القادر على التكيّف مع الواقع المعيش، ما يجعل الحاجةَ ماسّةً إلى تحديثِ مناهجِ البحث والتدريس، ورفعِ الكفاءة العلمية للطلاب، وضمانِ الجودة الشاملة التي تواكب روح العصر.

الكلمات المفتاحية: المناهج ــ الوسائل ــ التدريس ــ العلوم الإسلامية ــ التطوير ــ الجودة.

Abstract: *The reality of teaching Islamic sciences in universities is witnessing a stalemate in the curricula, and a lack of quality in the teaching of these sciences, which is considered the guide of preachers in taking responsibility for the call to Islam. And as it is clear in the minds that Islamic sciences differ from the rest of sciences in subjects and sources, and that the methods of their teaching are not completely compatible with the methods of teaching other sciences, then the process of achieving its outputs on the ground becomes fraught with some caveats that should be alerted within a set of questions that monitor it This study, in a systematic attempt to shed light on the imbalance, and an intellectual approach that sets solutions, so that the teacher of Islamic sciences can reconcile the specificity of this educational process with the training of the student who is able to adapt to the living reality, which makes the urgent need for modernization Curricula of research and teaching, raising the scientific competence of students, and ensuring comprehensive quality that accompanies the spirit of the times.*

Key words: *Curricula – Means – Teaching - Islamic Sciences – Development - Quality.*

مقدمة

إنّ واقع تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات يُفصح عن جمودٍ في مناهج التدريس المعتمدة، وعدم مسايرتها لروح العصر في ظلّ تغييرٍ اجتماعي مواكبٍ لتطوّراتٍ علميةٍ وتكنولوجيةٍ غير مسبوقة ، ما يؤدي إلى نقصِ الجودة في تدريس العلوم الإسلامية التي تُعتبر مُنْطَلَقَ العلماءِ في توجيهِ وإرشادِ أفراد المجتمع ، ومُرْشِدَ الدُّعَاةِ في تحمّل مسؤوليةِ دعوةِ غيرِ المسلمين إلى الإسلام.

وإذا كان واضحاً في الأذهان بأن العلوم الإسلامية تختلف عن بقية العلوم في مواضيعها ومصادرها، وأنّ أساليب تدريس العلوم الإسلامية لا تختلف كثيراً عن طرقِ تدريسِ غيرِها من العلوم، فإنّ هذه الورقة العلمية تركّز على هذه المسألة ــ وأخصّ بالذّكر عدم التطابق التامّ بين أساليب تدريس العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم من جميع الوجوه ــ لتعتبرها العقبة الكؤود التي تُرْهق المدرِّس المتمكّن من أمره عسراً، والتي تُصَيِّر عمليةَ تحقيق مخرجاتها على أرض الواقع صعبةَ المنال، وتجعلها محفوفةً ببعض المحاذير التي ينبغي التنبيه عليها، كي يتمكن المدرِّس من التوفيق بين أعماق هذه العملية التربوية على خصوصيتها، وبين تكوين الطالب المتمرّس القادر على التكيّف مع الواقع المعيش بنوازله اللامتناهية، ما يجعل الحاجةَ ماسّةً إلى تحديثِ مناهجِ البحث والتدريس، لتجعل من أولوياتها رفعَ الكفاءة العلمية للطلاب وضمانَ الجودة الشاملة التي تواكب روح العصر.

إشكالية البحث:

وفق هذا السياق يحاول البحث الإجابة على التساؤلات التالية :

ــ هل يتماشى واقعُ تدريس العلوم الإسلامية مع التطورات العلمية الحديثة في مناهج البحث والتدريس؟

ــ ما هي دواعي تحديث تدريس العلوم الإسلامية؟

ــ وما هي أنجع الوسائل لتحقيق ذلك؟

ــ هل هناك أساليب معيّنة يمكن اعتمادُها لتطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات، بما يضمن الجودةَ والنوعيةَ في ظلّ المتغيّرات العالمية الجديدة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأغراض الموالية:

1 ــ تشخيص راهن تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات بين إكراهات الواقع والتطلع نحو التغيير، ليكون نقطة انطلاق نحو العمل على دفع كل المعوّقات بما يحقق معايير ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي في الجامعات الإسلامية ، وزيادة التلاحم بين البحث العلمي والمجتمع.

2 ــ إذا كانت الشريعة الإسلامية قد جاءت هاديةً جميع الخلق إلى تحقيق مصالحهم ودفع المفاسد عنهم، من خلال الأحكام التشريعية الربانية الكفيلة بذلك، فإن هذه الأحكام تتطلب فهماً سليماً واستنباطاً قويماً وتنزيلاً حكيما، بغية الشهود الحضاري الفعال على الساحة الإنسانية العالمية، ليس حضوراً على استحياء، بل حضوراً قوياً على مستوى التشريع والتوجيه والقيادة والريادة.

وهذا الشهود لا يتحقق إلا عن طريق وحدة الأمة في عقيدتها وثقافتها، وهو يتطلب جهداً متزايداً على مستوى التنظير والتأطير لعلوم الشريعة، عن طريق ربطه بمستجدات العصر، وتحديد المفاهيم الناظمة لتنزيله على أرض الواقع، حتى يكون التحرك موجهاً تحقيق المقاصد العليا للشريعة في مناشط الحياة جميعها، وسدّ الخلل الواقع والمتوقع من المجتهد المخطئ، فضلا عن تقويم المسالك الداعمة لاستقرار المجتمعات الإسلامية من التفكك والانهيار.

3 ــ إننا نعيش اليوم في عصر يتسم بالتركيز على التكامل بين العلوم؛ وإثراء المعرفة الإنسانية وتطويرها وتجديدها ، فلقد شرع الباحثون في الانفتاح على عالم أرحب وأوسع من عالمهم الضيق المحدود ببعض الدراسات الفردية المحصورة في تخصصهم الأكاديمي، آخذين بالنهج التكاملي في معالجة قضايا المجتمع، وإشراك كافة مؤسساته في حل مشكلاته.

ومن هنا نجد أن البحث يعالج قضية مجتمعية في صميم قضايا الأمة المتطلعة إلى الدخول للمستقبل بثقة واقتدار ؛ وذلك لأن تطوير وتنمية أي مجتمع يتوقف إلى حد كبير على القدرة العلمية لأفراده.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من النقاط الموالية:

1 ــ كونها تقدِّم إسهاماً علمياً في بيان الأسس المنهجية لإصلاح التعليم ــ وأخصّ بالذكر تدريس العلوم الإسلامية ــ على المستوى النظري والتطبيقي، مع تحديد مرتكزات هذا الإصلاح من حيث تناوله مكانة الإنسان في الكون، وغاية وجوده في الحياة، كي يتحرر من الصفات الذميمة جميعاً، ويُحَوّل تلك الصفات إلى قيم إنسانية عليا.

2 ــ تكمن الأهمية الحقيقية لهذه الدراسة في أنها تبلور بشكل علمي فكرة التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم، وترصد أبرز التحديات التي تواجه تفعيل هذا المفهوم، مما يضع أمام علوم الشريعة وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية، بطريقة تزوّد متخذي القرار والمخططين للتنمية بحقائق علمية في هذا الصدد، وتسعفهم بمعطيات مستمدة من الاستقراء المنهجي للقضية محط البحث، ويمكن توظيف تلك المعطيات في اتخاذ البدائل المناسبة، كما أنها تفتح آفاقاً جديدة لمزيد من الدراسات المستقبلية.

منهج البحث:

إن قلة البحوث العلمية الجادة حول موضوع تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات تشكل بعداً آخر يدعم أهمية الدراسة الحالية، التي تعتمد المنهج الوصفي في تناول البحث من خلال جمع المادة العلمية المنشورة المتعلقة بمشكلته الأساسية وتحليلها، واستخلاص النتائج التي تسهم في الإجابة على تساؤلات البحث وتحقيق أهدافه، ليتمّ بعدها ذكر بعض التوصيات، وبناءً على ذلك جرى توزيع الموضوع على النقاط الرئيسية التالية:

المقدمة: تتضمن عرضاً لإشكالية البحث وأهدافه الرئيسية...والمنهجية المتّبعة فيه، وخطة العمل.

أولاً: واقع تدريس العلوم الإسلامية في ظل التطورات العلمية الحديثة.

ثانياً: ضرورة تحديث وسائل تدريس العلوم الإسلامية.

ثالثاً: أساليب تطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية في ضوء اعتماد الجودة والنوعية.

الخاتمة: وهي تتضمن النتائج التي يخلص إليها البحث مع ذكر بعض التوصيات.

وفيما يلي تفصيل هذه النقاط:

أولاً: واقع تدريس العلوم الإسلامية في ظل التطورات العلمية الحديثة

إن الحديث عن راهن تدريس العلوم الإسلامية ـــ في ظل التطور العلمي الذي يشهده العالم اليوم ـــ حديثٌ متواصل متجدد نابع من مراجعة الذات وتقويم العملية التعليمية الذي لا ينبغي التوقف عن البحث فيه [1]، "فالدراسات الفقهية والشرعية بشكل عام تعاني، لأنها تخرج حفظة وحملة فقه في الأعم الغالب، ولا تخرج فقهاء... تخرج نقلة يمارسون عملية الشحن والتفريغ والتلقين، ولا تخرج مفكرين ومجتهدين يربون العقل وينمون التفكير"[2].

إن هذا الواقع ينمّ عن حاجة ماسة إلى إعادة النظر في طرق وأساليب تدريس هذه العلوم، ومن أهمّ سمات هذا الواقع ما يلي:

أ ـــ التقليد و الجمود في مناهج التدريس المعتمدة في العلوم الإسلامية.

ب ـــ عدم مواكبة مناهج تدريس العلوم الشرعية لروح العصر والتغيير الاجتماعي.

ج ـــ نقص الجودة في تدريس العلوم الشرعية.

وقد حاولت العديد من المؤتمرات العلمية التي تبنت توجهات الإصلاح الفكرية معالجة هذا الواقع من خلال الكثير من الطروح والأوراق البحثية، وأبرز هذه الملتقيات: مؤتمر "علوم الشريعة في الجامعات الواقع والطموح " عام 1994م، ومؤتمر "تدريس الفقه الإسلامي في الجامعات " عام 1999م، وعرض ومراجعة لأعمال مؤتمر "فلسفة التعليم الديني العالي في فلسطين"، ومؤتمر "دور الدراسات الإسلامية في المجتمع العولمي" عام 2010م، والملتقى الدولي "الجودة في التعليم كأساس لتطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية" عام 2012م[3].

وقد أجمعت أغلب توصيات هذه المؤتمرات العلمية على ضرورة تطوير مناهج ومقررات العلوم الإسلامية في قطاع التعليم العالي بما يتناسب مع متطلبات العصر ومتغيراته، وهو ما يبدو عليه ممكنا من خلال التفصيل الموالي.

ثانياً: ضرورة تحديث وسائل تدريس العلوم الإسلامية

إذا كان معلوما بأن العلوم الشّرعيّة تتعلّق بأمور الدّين والعقيدة من فقه وتفسير ودراسات قرآنية وعلوم حديث وقراءات...، وأنها تختلف عن بقية العلوم في مواضيعها ومصادرها، إلّا أنّ أساليب تدريس ها لا تختلف كثيراً عن غيرها من العلوم، ولعل أبرز الطّرق وأنجعها لتدريس العلوم الشّرعيّة ما يلي:

---

[1] ينظر: تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني، رقية طه العلواني، على الرابط: http://kenanaonline.com، تاريخ الزيارة: 15 سبتمبر 2019م، آفاق تدريس العلوم الإسلامية من خلال الجامعات الإلكترونية- نماذج مختارة، د. عبد القادر مهاوات، والباحث محمد العربي ببوش، ورقة علمية مقدّمة إلى الم لتقى الوطني حول "مستقبل العلوم الإسلامية في مؤسسات التعليم العالي – الواقع والآفاق"، كلية الشريعة والاقتصاد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، 23-24 أفريل 2017م، ص8، على الرابط الالكتروني: https://www.mediu.edu ، تاريخ الزيارة: 03 نومبر 2019م.

[2] مقدمة كتاب: تكوين الملكة الفقهية للدكتور محمد عثمان شبير، بقلم عمر عبيد حسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط 1، 1999م، ص 39.

[3] ينظر: تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني، رقية طه العلواني، على الرابط: http://kenanaonline.com، آفاق تدريس العلوم الإسلامية من خلال الجامعات الإلكترونية- نماذج مختارة، د. عبد القادر مهاوات، والباحث محمد العربي ببوش، على الرابط الالكتروني: https://www.mediu.edu .

1 ــ التّلقين والإلقاء[1]:

هذه الطّريقة لا يستغنى عنها أساتذة العلم الشّرعي لأنها تمكنهم تلقين شريحة كبيرة من الطّلاب (الذين يجتمعون في قاعة كبيرة) أكبر كميّة من المعلومات بطريقة تختصر الوقت وتحقق الهدف.

لكن يؤخذ على هذه الطّريقة في التّدريس تركيزها على حفظ المادة العلمية المتضمنة في الكتب المقررة بكل ما تحمله من حشو وتعقيد، مع قلة الاهتمام بتنمية التفكير النقدي والإبداعي واكتساب المهارات العقلية لتوليدها.

إضافة إلى الاستقرار البالغ حد الركود في كيفية التعامل مع تلك العلوم تعلُّماً وتأليفاً وتدريساً منذ مئات السنين، وكأن هذه العلوم بتصنيفها المعهود وأبوابها... تعبدية لا يجوز أن يطرأ عليها التعديل أو التبديل، الأمر الذي جعل هذه العلوم وطريقة تدريسها أقرب إلى التاريخ منها إلى الواقع، ما يجعل الطّالب مجرّد مستمع لا يتفاعل مع المعلّم، ولا يعني ذلك القول بإهمال تراثنا الإسلامي في تدريس هذه المواد، بل لابد ــ معه ــ من الوعي بالواقع والتعامل معه بما يحقق مقاصد التشريع التي أدرك العلماء السابقون أهمية تحقيقها في الواقع المتغير.

2 ــ المناقشة باستخدام أساليب مختلفة[2]:

هذه الطّريقة تكون ناجعة كثيراً في تلقّي العلم الشّرعي وتدريسه حيث تفتح الباب أمام هذا العلم كي يناقش أساتذته ويحاورهم ويتبادل معهم الآراء في المسائل المختلفة.

وتأخذ هذه الطّريقةُ في تدريس العلم الشرعي أشكالاً متنوّعة، فقد تكون على شكل ندوة أو جلسة حواريّة، كما تُستخدم طرقٌ كثيرة فيها منها: طريقة العصف الذّهني أو استثارة العقول وتحفيزها للتّفكير في مسألة معينة، وقد كان النّبي عليه الصّلاة والسّلام خيرَ معلّمٍ يُقتدى به في ذلك حيث كان يطرح أحياناً سؤالاً استفهاميًّا لي‌حفز عقولَ الصّحابة على البحث عن الجواب، فقد سألهم عن شجرة تشبه المؤمن لا يسقط ورقها، فانبرى الصّحابة للتّفكير في الجواب وطرحوا عدّة أجوبة ليخبرهم النّبي عليه الصّلاة والسّلام بالجواب الصّحيح وهو النّخلة.

3 ــ استخدام الوسائل التّعليمية والتّصوير[3]:

وهذه الطّريقة أصبحت تعتمد عليها كثيرٌ من المدارس الحديثة لما لها من نتائج حميدة، وقد طبّق النّبيُّ صلى الله عليه وسلم هذه الوسيلة في توضيح فكرةٍ جوهرية تلخّص حياةَ الإنسان تجاه رسالة الاستخلاف وعمارة الكون، حيث قام برسم مستطيلٍ داخلَه عدّةُ خطوطٍ وخارج هذا المستطيل رسم خطاً، فالمستطيل يمثّل الإنسان، وما تضمّنه من خطوطٍ هي ما يعترض الإنسانَ في حياته من هموم، والخط خارج المستطيل هو الأجل الذي ينتظر الإنسان ، وكثيراً ما يغفل عنه لانشغاله بملذات الدّنيا.

وعلى العموم فعلى الرغم من أن الكثير من الجامعات الإسلامية تحاول أن تساير الواقع من خلال تحديث المناهج والمقررات (خاصة بعد ترسيم نظام ل.م.د في الجزائر على وجه الخصوص/نظام يعتمد المقاربة بالكفاءات/يفرض على المدرس إعداد مذكرات بيداغوجية تعين الطلاب على التحضير والمذاكرة المسبقة للمفردات المسطرة)، فإن المتأمل في واقع ا لعلوم

---

[1] تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني، رقية طه العلواني، على الرابط: http://kenanaonline.com، بتصرف.

[2] ينظر الرابط: موضوع.كوم:http://mawdoo3.com ، تاريخ الدخول: 2017/02/15، بتصرف.

[3] نفسه، بتصرف.

الإسلامية ومناهجها الدراسية، ووسائلها التعليمية، ومساقاتها، وم فرداتها المفصلة، يلحظ النزعة التقليدية في الطرح والإلقاء والتدريس والتلقي، فينتج عنه طلاب يهتمون بالحفظ في الصدور ثم الحفظ في السطور عند التقويم والامتحان، وبذلك تغيب النزعة الإبداعية والتفكير الناقد الذي يعين على الاستنباط والتحليل والنظر في مستجدات الأمور ونوازلها ، ما يجعل الحاجة ماسة إلى تحديث وسائل تدريس العلوم الإسلامية بما يتلاءم مع تحفيز مهارات التفكير الإبداعي لدى طلبة الجامعات، ما يعني القدرة على ابتكار وإنتاج أكبر عدد من الأفكار التي تكون لها قيمة عملية في الواقع.

إن أهمية التفكير الإبداعي[1] تتلخص فيما يلي:

أ ــ بناء العقلية المتعلمة الناضجة القادرة على التحليل والمناقشة والتقويم لكل الأفكار التي تمر بالمتعلم.

ب ــ يورث المرونة في التفكير ويجعل الطالب يستوعب متغيرات العصر.

ج ــ يساعد على ربط التعليم بخطط التنمية في المجتمع.

د ــ يتيح بناء الطالب المتعلم والفرد الواعي بمتطلبات مجتمعه وأمته.

وأما التفكير الإبداعي في العلوم الشرعية فهو قدرة طالب العلم الشرعي على النظر في الأدلة (أصول الاستنباط)، والتعرف على وسائل الاجتهاد مع الإحاطة التامة بمقاصد الشريعة.

وبعبارة أخرى فإن التفكير الإبداعي المطلوب هو القدرة على النظر في الأدلة الشرعية، واستيعاب أساسيات الشريعة استيعابا يتيح استحضارها واستخدامها بطريقة منهجية عند الحاجة إليها، ومنها التعامل مع المستجدات والقضايا العصرية.

ثالثاً: أساليب تطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية في ضوء اعتماد الجودة والنوعية

إذا كان واضحا في الأذهان بأن واقع المسلمين اليوم تواجهه تحديات كبيرة ونوازل حادثة تحتاج إلى نظر مجتهد حاذق، واجتهاد فقيه متبصر بالواقع، وهذا لا يتأتى بالبحث في المدونات الفقهية القديمة فقط (الخلل لا يكمن في المدونات الفقهية التي واكبت عصورها، وإنما الخلل واقع في طريقة ومنهج التعامل مع النصوص الشرعية ، ولذلك نجد الجامعات الإسلامية تخرج حفظة فقه ولا تخرج فقهاء)، من دون استعمال النظر الاجتهادي المتبصر في الأحوال والوقائع، مع العلم بأدوات هذا الاجتهاد، كي يكون المجتهد قادرا على النظر في المستجدات بما يتوافق وقواعد الشريعة الإسلامية، ويتوقف ذلك على ما يلي:

أ ــ فاعلية المدرِّس:

إنّ المدرِّس هو مهندس المقرر الدراسي بطريقة إبداعية نقدية ابتكارية، تعتمد على الوسائل التعليمية ابتداء من المعرفة والفهم إلى التلقين والشرح ثم التحليل والتقويم.

وإذا كان المدرِّسون في الجامعات الإسلامية "يتحملون أمانة العلم تبليغاً وتعليماً ونشراً، فإن عليهم أيضا أن يتحملوا هذه الأمانة إبداعاً وإنتاجاً"[2].

---

[1] التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمواد العلوم الإسلامية ، فريدة صادق زوزو ، نقلا عن موقع: http://fiqh.islammessage.com، تاريخ الزيارة: 2017/02/16، بتصرف.

[2] البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية في الجامعات، فتحي حسن ملكاوي، إسلامية المعرفة، السنة 8، عدد 30، خريف 1423هـ/2002م، ص85.

وهذا العمل يقوم به المدرِّس المؤهل بالفاعلية في استيعاب مادته التعليمية استيعابا جامعا شاملا، وفي القدرة على المدارسة من المصادر الأصلية وفهمها، وأخيرا المعرفة بآليات الاجتهاد وأدواته ليستعملها مع النوازل والمستجدات ، ناقلا كل ذلك الزخم المعرفي وخبرته العملية إلى طلبته.

لذلك ينبغي أن يكون المدرِّس حريصاً على الاطلاع المستمر والمطالعة المسايرة لجديد دور النشر، وإعداد البحوث الأكاديمية والمقالات التي تهيء الأرضية الأساس للتفاعل مع النوازل المعاصرة، وفيها تطرح الأسئلة وتثار المشكلات بغرض بحثها، مع التأكيد على ضرورة التحكم في الوسائل التكنولوجية، ف إذا ما تم إعداد المدرِّس إعدادا متميزا للوقوف في وجه التحديات أصبح إعداد الطلبة أسهل وتخريج الفقهاء أمكن.

وهنا لابد من الأخذ بعين الاعتبار بأن المدرِّس في الجامعة هو آخر من يتلقى الطالبُ على يديه العلم، ولذلك فإن الجامعة هي المدرسة الأخيرة، ومن هنا يصبح لزاما على الأستاذ أن يشرك الطالب في الدرس بتحفيزه على السؤال والنقاش المجدي الذي يخرج حافظا مستوعبا يملك أدوات الإبداع لا الحفظ فقط، عن طريق التمثيل بأمثلة مأخوذة من الواقع المعيش.

والذي يلحظه الباحث أن مقررات الدراسات الشرعية الحالية تعتمد على الأمثلة والفروع الفقهية القديمة، التي يصعب على الطالب فهمها ناهيك عن فهم الدرس والقاعدة المعتمدة، ومن ذلك[1]: (لا يجوز بيع البعير الشارد والعبد الآبق، والسمك في النهر والطير في السماء، واللبن في الضرع، وغيرها من الأمثلة التي لم تتغير منذ قرون طويلة)، وقس على ذلك الأمثلة في الدرس الأصولي، لأن هذا المنهج كان مطبوعاً "بأثر الظروف التاريخية التي نشأ فيها، بل بطبيعة القضايا الفقهية التي كان يتوجه إليها البحث الفقهي في ذلك الزمان"[2].

وقد يصعب على الأستاذ استحضار أمثلة وتطبيقات جديدة من الواقع لأن الأستاذ نفسه عاجز عن استيعاب ومحاولة مزج التنظير مع التطبيق؛ وفي مادة القواعد الفقهية التي كان أساسها مبنيا على محاولة الفقهاء جمع الفروع الفقهية المتناثرة في إطار محدد وضابط جامع لها، بغرض إيجاد رابط لفروع كثيرة متشابهة موصولة مع بعض، إلا أنه يستشكل على المدرس في هذا العصر البحث عن أمثلة جديدة، فتجده يشرح الأمثلة المستعصية على أذهان الطلبة، لأنها من زمان غير زمانهم (العادة محكمة، الخراج بالضمان...)، وهنا وجب تطوير أسلوب ضرب الأمثلة في عملية التدريس.

ب ــ طريقة المدرِّس في جلب انتباه الطالب:

جرت العادة أن يجلس الأستاذ ثابتا على كرسيه متحدثا وشارحا للدرس من أوراق موزعة بين يديه، أو من خلال التقليب لصفحات كتاب مفتوح أمامه؛ في وقت يكون فيه الطالب إما يتثاءب أو يتململ على كرسيه أو يشتغل على هاتفه المحمول.

وهذه الطريقةُ التقليدية في تدريس العلوم الشرعية (وتسمى طريقة التلقين)، تشوبها بعض السلبيات مثل: عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة؛ إذ إن أعدادهم كبيرة يتعذر معها مراعاة مستوياتهم الذهنية فردا فردا، ناهيك عن اشتغال طلبة اليوم بأمور خارجة عن الدرس الذي لا يعتبرونه غايةً أو هدفًا فلقد أصبحوا يأتون إلى تخصص العلوم الشرعية جبرا، ولأن التعليم

---

[1] التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمواد العلوم الإسلامية ، فريدة صادق زوزو ، نقلا عن موقع: http://fiqh.islammessage.com، تاريخ الزيارة: 2017/02/16، بتصرف.

[2] قضايا التجديد، نحو منهج أصولي، حسن الترابي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، ط1، 1990م، ص 195، بتصرف يسير في العبارة.

إجباري على كل الأفراد يأتي الطالب وذهنه معلق بمشتهيات أخرى (تخصص آخر لم يتمكن من دراسته بسبب تدني معدل نجاحه في البكالوريا)، وهنا وجب الحديث عن أسباب تدني الدافعية للتعلم والدراسة لدى طلابنا، وهو موضوع شائك يحتاج إلى بحث آخر.

لذلك ينبغي على المدرِّس أن يلجأ إلى المناقشة عن طريق الإكثار من الأسئلة [1]، وعليه تنويع النشاطات داخل قاعة الدرس بين كتابة على السبورة أو عرض صور ورسومات عن طريق استعمال الوسائل التقنية الحديثة، مع إضفاء روح الدعابة أحيانا.

كما ينبغي مراعاة طريقة الوحدات التي تهدف إلى ربط معلومات المنهج في المادة الواحدة (أو في مواد مختلفة) بهدف نظري واحد؛ فالزكاة مثلا- إذا درست على منهج المواد المنفصلة- تدرس دراسة جافة ضحلة، تتناول أوقات وجوبها، ومقاديرها، ومصارفها، إلى غير ذلك، ولكنها كوحدة يمكن أن تدرس من اتجاهات أقوى حيوية وأعظم تأثيرا، مثل: الزكاة ومشكلة الفقر، الزكاة والتنظيم الاقتصادي، الزكاة والتكافل الاجتماعي، المضاعفات السيئة لمنع الزكاة...

ج ــ تحفيز الطالب على التفكير والبحث العلمي:

عن طريق تدريب ملكة السؤال والاستفسار عنده، فالتفكير الناقد يحول المعلومات المستقبلة إلى طاقة خلاقة تسهم في تكوين العقلية العلمية المستنيرة التي يستطيع صاحبها أن يتعامل مع مفردات الواقع ومتطلبات الحياة بمرونة واضحة وبقدرة على التحليل والاستنتاج والفهم والاستيعاب، وتساعده على تحقيق الحياة الراقية والسلوك المتطور.

د ــ تأهيل الطالب عمليا:

لابد أن يأخذ المدرس في عين الاعتبار أن طالب الدراسات الشرعية مثله مثل طالب التخصصات التقنية يدخل المخبر في واقع حياته يوميا، على اعتبار أنه سيكون قاضيا شرعيا أو مدرسا أو إماما خطيبا، أو فقيها مجتهدا، الأمر الذي يتطلب منه إلماما بعلوم الشريعة وتفريعاتها، فهو سيُستفسر كل حين عن مسألة فقهية أو فتوى أو معنى حديث، أو معنى آية، وهو هنا في مركز المفتي والمجتهد بين أهله وجيرانه وأفراد بلدته الصغيرة.

ومن مظاهر القصور الواضح البيّن أن يُوَاجَهَ طالبُ الشريعة الذي يرى نفسه مختصا في الحديث أو العقيدة أو التفسير بمسائلَ من الحياة تتصل بالحلال والحرام عمليا، ثم يعتذر عن عدم قدرته على التعامل معها لأنه مختص بالعقيدة أو الدعوة والإعلام وليس متخصصاً بالفقه والأصول.

وهذه العلوم تحتاج إلى فنون تطبيقية كفن الخطابة، وعلم القضاء الذي يحتاج إلى تطبيق في المحاكم ومجالس القضاء لممارسة فن الترافع ومحاججة الخصم بالحجة والبيان، لتظهر الحاجة إلى دراسة فن الترجيح والجدل العلمي الذي حفل به تاريخنا الإسلامي، فيدرب الطلبة على المناظرات والاستدلال المقابل للاستدلال المضاد، ومعناه استحضار الحكم ودليله بصورة آنية، وذلك يتطلب حفظ المادة العلمية وفهمها واستيعاب أهميتها بين المسائل المعروضة حتى يتأتى استحضارها ، وهذا أحد فنون التفكير الإبداعي الذي يتدرب الطلاب عليه في الدرس النظري ثم التطبيقي.

---

[1] تنمية مهارات التفكير، محمود محمد علي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط 1، 2002م، ص104.

وبعبارة أخرى فإن محاولة تطوير منهج الاستنباط ومنه تطوير المنهج الأصولي هو القضية الأساس للتعامل مع المستجدات والنوازل، إضافة إلى ارتباطه الوثيق مع فكرة تقنين الشريعة الإسلامية؛ "التي تفرض منهجاً أصولياً محكماً في التعامل مع الأدلة"[1]، الأمر الذي دعا الباحثين إلى الدعوة إلى تقنين أصول الفقه[2].

طرق تفعيل أداء الإبداع والنقد:

يمكن للمدرسين أن يعززوا التفكير الناقد والإبداعي في المدارس والجامعات من خلال ما يلي:

1 ــ إعداد مواد منهجية لإثراء الكتب والمطبوعات المقررة.

2 ــ إجراء مناقشات وحوارات حول قضايا خلافية.

3 ــ حث الطلبة على القيام بلعب الأدوار في أحداث تاريخية، حيث تتبنى الأطراف وجهات نظر متناقضة.

4 ــ تشجيع الطلبة على حضور اجتماعات المجتمع المحلي، أو مشاهدة البرامج التلفازية التي يتم التعبير فيها عن وجهات نظر مختلفة .

5 ــ حث الطلبة على كتابة مقالات صحفية للتعبير عن آرائهم حول قضية محلية معاصرة .

6 ــ ترك المجال للطلبة للتصدي للأسئلة عن طريق الإجابات المتعددة.

7 ــ تحفيز الطلبة على قراءة ومناقشة الأدب الذي يعكس قيماً وتقاليد مختلفة عن تلك التي يتبنّونها.

8 ــ دعوة شخصيات لها وجهات نظر خلافية ليتحدّثوا مع الطلبة.

هـــ ــ اختيار المادة العلمية المناسبة (الكتب والمذكرات):

لابد من اختيار المادة المناسبة لمستوى الطلبة فهماً واستيعاباً، بحيث يُختار الكتاب الجامع لشرح المفردات والمصطلحات الأساسية، والمعتمد على المصادر الأصيلة، والممثِّل بأمثلة واقعية يفهمها طالب العلم، ناهيك عن اختيار الكتاب ذي الأسلوب الميسر لا هو بالأسلوب الركيك الضعيف ولا هو بالصعب.

ويحسن أن تكون المادة العلمية ترجمة صادقة للمقرر الدراسي بأهدافه وموضوعاته ، مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الطلاب، وظيفية تستجيب لحاجاتهم ومشكلاتهم، متنوعة بين الجديد والقديم، ليدرك الطالب كيفية الاجتهاد والإبداع في إنزال النصوص الشرعية منازلها في كل عصر وفي كل مكان.

ومن هنا فإنه لا يُستحسن الاختيار الأحادي للكتاب؛ إما كتاب قديم، وهو الذي كُتب لعصره في أمثلته وشروحه وتفصيلاته، ناهيك أنه مدون للباحثين والعلماء لا المتعلمين والطلاب، أو كتاب جديد، وهو الذي يفتقر إلى النصوص الفقهية القديمة التي يجب على الطلاب ممارسة قراءتها وتدريبهم على ذلك حتى يتهتوعبوها، كما أن الكتاب الحديث عادة ما يستند إلى مذهب واحد إما أو حنفي أو مالكي أو شافعي أو حنبلي ، ولذا لابد من الجمع بين مادتي الكتابين، بحيث تضبط المواضيع

---

[1] نحو تطوير تدريس علمي أصول الفقه والفقه، محمد كمال الدين إمام، مجلة "المسلم المعاصر"، العدد 112، السنة 28، أبريل/يونيه 2004م، ص7.

[2] تقنين أصول الله، محمد زكي عبد البر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1989م.

الفقهية مثلا بالفروع الفقهية الحديثة ويضاف إلى القديم الجديد من الصور والمستجدات، فمثلا أنواع الشركات دخلت عليها أشكال جديدة مثل شركات المساهمة المحدودة وغير المحدودة، كما تغيرت في العصر الحديث صور ال قابض، وصارت إلى التقابض الالكتروني، وأصبحت المحاماة أهم صور درس "الوكالة"، وإذا ما أردنا شرح درس البيوع المحرمة فإن المثال القديم هو بيع المضامين، أما الآن فهو بيع الدم والأعضاء الآدمية.

ومن المقترحات في هذا الجانب تدريب الطالب على كتابة التقارير بشكل أسبوعي[1]، حتى يصبح تعامله مع المصطلحات الشرعية تعاملا سهلا، ثم تأتي مناقشة هذه التقارير جماعياً في حصص التطبيق لتحفز الطالب على التفكير الإبداعي فيما يلقيه على زملائه، دون إغفال أهمية حضور المؤتمرات والندوات والمحاضرات العامة التي تعين الطالب على مسايرة جديد الأبحاث، ومعرفة المستجدات والنوازل، فيكتسب منها طرق البحث والشجاعة في الإلقاء، ويتدرب على المناقشة والسؤال والتعقيب والاستدراك وغيرها من طرق وأساليب الحوار والنقاش المجدي.

الخاتمة:

بعد هذا العرض خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1 ــ إن تدريس العلوم الإسلامية يوجّه حياة المسلمين ديناً ودنيا، ولذلك لابد من إعداد مقررات دراسية تتوافق واحتياجات الأمة الإسلامية في هذا العص ر، من خلال تدريب الطلبة على سلوك الأساليب الإبداعية في التعامل مع المادة العلمية المدروسة والواقع المعيش.

2 ــ ظهر من خلال هذه الدراسة ضرورة مراجعة المقررات الدراسية ومفرداتها بما يجدّ في الواقع من مسائل فقهية أوتفسيرية أو حديثية وغيرها، لمواجهة التحديات والشبهات المثارة في كل حين.

3 ــ إن تخريج الطالب المبدع هو نتيجة جهود مدرّس مبدع درّسه مادة تعليمية إبداعية تفاعلت مع وسائل تدريسية ناقدة وبناءة.

التوصيات:

هذا وإني أوصي في نهاية هذا البحث بما يلي:

1 ــ ضرورة تكاتف جهود الباحثين الجامعيين من كل تخصص في الدراسات الشرعية بغرض استقراء المستجدات وأدلتها، والتي كثيرا ما تعتمد على مقاصد الشريعة وقواعد الفقه والتفسير المقاصدي للآيات والأحاديث الشريفة، وهو مما سيساعد على تنمية البحث العلمي وتطوير مناهج تدريس الدراسات الشرعية.

2 ــ ضرورة اعتماد معايير الجودة في إصلاح وتطوير مناهج تدريس العلوم الشرعية في الجامعات .

3 ــ ضرورة إعداد التقارير الإحصائية المتعلقة بمخالفات الجودة والنوعية في تدريس العلوم الشرعية .

4 ــ إعداد دورات تدريبية لصالح أساتذة العلوم الشرعية في الجامعات، من أجل تحسين أدائهم البيداغوجي، وتمكّنهم من استغلال الوسائل التقنية الحديثة.

---

[1] التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمواد العلوم الإسلامية ، فريدة صادق زوزو ، نقلا عن موقع: http://fiqh.islammessage.com، تاريخ الزيارة: 2017/02/16، بتصرف.

قائمة المصادر والمراجع:

1 ــ آفاق تدريس العلوم الإسلامية من خلال الجامعات الإلكترونية- نماذج مختارة، د. عبد القادر مهاوات، والباحث محمد العربي ببوش، ورقة علمية مقدَّمة إلى الم لتقى الوطني حول "مستقبل العلوم الإسلامية في مؤسسات التعليم العالي - الواقع والآفاق"، كلية الشريعة والاقتصاد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، 23-24 أفريل 2017م، على الرابط الالكتروني: https://www.mediu.edu .

2 ــ البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية في الجامعات، فتحي حسن ملكاوي، إسلامية المعرفة، السنة 8، عدد 30، خريف 1423هـ/2002م.

3 ــ تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات باستخدام التعليم الإلكتروني، رقية طه العلواني، على الرابط: http://kenanaonline.com.

4 ــ التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية لمواد العلوم الإسلامية ، فريدة صادق زوزو ، نقلا عن موقع: http://fiqh.islammessage.com.

5 ــ تقنين أصول الله، محمد زكي عبد البر، دار التراث، القاهرة، ط1، 1989م.

6 ــ تكوين الملكة الفقهية للدكتور محمد عثمان شبير، بقلم عمر عبيد حسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 1999م.

7 ــ تنمية مهارات التفكير، محمود محمد علي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 2002م.

8 ــ موضوع.كوم:http://mawdoo3.com .

9 ــ قضايا التجديد، نحو منهج أصولي، حسن الترابي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، ط1، 1990م.

10 ــ نحو تطوير تدريس علمي أصول الفقه والفقه، محمد كمال الدين إمام، مجلة "المسلم المعاصر"، العدد 112، السنة 28، أبريل/يونيه 2004م.